

منبر المحراب

محاسبة النفس

(حماد العمر)

السنة الخامسة عشرة

العدد ٨٦٦ - ١٢ / محرم / ١٤٣١ هـ

الموافق ٢٩ / كانون أول / ٢٠٠٩ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- أهمية محاسبة النفس والحث عليها.
- كيفية المحاسبة.
- أهم ما تجب المحاسبة عليه.

الهدف: التعرف على أهمية محاسبة النفس في الإسلام، وأثارها على تربيتها وتهذيبها.

تصدير الموضوع:

قال رسول الله: «لا يكون العبد كؤمناً حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه والسيد عبده»^(١).

(١) البحار، ٧٠، ٢٢.

أهمية محاسبة النفس:

قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون»^(١).

المحاسبة هي: محاسبة النفس كل يوم عمّا عملته من الطاعات والخيرات، أو اقترفته من المخالفات والمعاصي والآثام، فإن رجعت كفة الطاعات على المعاصي، والحسنات على السيئات، فعلى المحاسب أن يشكر الله تعالى على ما وفقه إليه وشرّفه به من طاعته وشرّفه. وان رجعت المعاصي، فعليه أن يؤدّب



(١) الحشر: ١٨.

نفسه بالتأنيب والتقريع على شذوذها وانحرافها عن طاعة الله تعالى، وفي كلا الحالتين يجب تأنيب النفس على كل مخالفة وتقصير.

محاسبة النفس واجبة على

الجميع:

لا تنحصر محاسبة النفس بشريحة الذين يمارسون الرياضة الروحية أو السالكين، بل هي تشمل جميع الناس حتى الناس العاديين فالقرآن يدعو إلى محاسبة النفس ولم يحصر دعوته بفئة معينة من الناس، إنه يخاطب الذين آمنوا كافة. قال رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر»^(٢)، وهل الحساب في عالم الآخرة ينحصر بأهل الرياضة الروحية وأرباب السلوك؟ كلاً إن الحساب يشمل الجميع.

يقول أحد علماء الأخلاق:

إن العظماء من السلف الصالح كانوا يعتقدون بأن من لا يحاسب نفسه هو إما ملحد باليوم الآخر والمعاد أو أنه مجنون وإلا فكيف لمن يحمل في رأسه عقلاً سليماً وهو يؤمن بالقرآن كتاباً من عند الله ينادي: من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، ثم لا يحاسب نفسه ويراقب ما يرسله من الأعمال إلى ذلك العالم حيث يلتقيها هناك.

(٢) البحار، ٧٠، ٢٦.

الحث على محاسبة النفس:

لمحاسبة النفس أهمية كبرى في تأهّب المؤمن، واستعداده لمواجهة حساب الآخرة، وأهواله الرهيبة، ومن ثم اهتمامه بالتزوّد من أعمال البر والخير الباعثة على نجاته وسعادة مأبته.

لذلك كثرت النصوص التي تحرّض على المحاسبة بأساليبها الحكيمة البليغة:

- **محاسبة النفس:** قال الإمام الصادق عليه السلام: «... فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامه خسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة، ثم تلا» في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة^(٣).

- **المحاسبة اليومية:** وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله تعالى، وإن عمل سيئة استغفر الله تعالى منها وتاب إليه»^(٤).

- وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «إبن إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك...»^(٥).

كيفية المحاسبة:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وقد سئل عن كيفية محاسبة النفس:

(٣) (أمالى المفيد، ٢٢٩، ١).

(٤) الاختصاص، ٢٦.

(٥) تحف العقول، ٢٨٠.

إليه يصعد الكلم الطيب

إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه، وقال: يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً واللّه سائلك عنه في ما أفنيته، فما الذي عملت فيه، أذكرت الله أم حمدته، أفضيت حق أخ مؤمن... فيذكر ما كان منه فان ذكر أنه جرى منه خير حمد الله عزوجل... وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله عزوجل وعزم على ترك معاودته^(١).

أهم ما يجب محاسبة النفس عليه:

- **أداء الفرائض:** أول ما يجدر محاسبة النفس عليه أداء الفرائض التي أوجبها الله تعالى على الناس، كالصلاة والصيام والحج والزكاة ونحوها من الفرائض.

- **فعل الذنوب والآثام:** محاسبة النفس على اقتراف الآثام واجتراف المنكرات، وذلك: بزجرها زجراً قاسياً، وتأنيبها على ما فرط من سيئاتها، ثم الاجتهاد بملافة ذلك بالندم عليه والتوبة الصادقة منه. ولقد ضرب النبي ﷺ أرفع مثل لمحاسبة النفس، والتحذير من صغائر الذنوب ومحقراتها: قال الصادق ﷺ: «إن رسول الله نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: إئتونا بحطب. فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب. قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاءوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله ﷺ: هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: «ياكم والمحقرات من الذنوب،

فإن لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب: ﴿ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾^(٢).

وكان بعض الأولياء يحاسب نفسه بأسلوب يستثير الدهشة والإكبار:

من ذلك ما نقل عن توبة بن الصمة، وكان محاسباً لنفسه في أكثر أوقات ليله ونهاره، فحسب يوماً ما مضى من عمره، فإذا هو ستون سنة، فحسب أيامها فكانت إحدى وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم، فقال: ياويلتانا!!، ألقى مالاً بإحدى وعشرين ألف ذنب، ثم صعق صعقة كانت فيها نفسه.

- **عدم تضييع فرصة العمر:** يجب محاسبة النفس دائماً على عدم تضييع فرصة العمر التي من الله تعالى بها عليه، لأنه لو وزن الإنسان بين جميع مُتَع الحياة ومباهجها، وبين عمره وحياته لوجد أن العمر أغلى وأنفس منها جميعاً، فالعمر هو الوقت المحدد الذي لا يستطيع الإنسان إطالة أمده، وتمديد أجله المقدر المحتوم «ولكل أمة أجل، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون».

كما يستحيل استرداد ما تصرف من العمر، ولو بذل المرء في سبيل ذلك جميع مقتنيات الحياة.

من أجل ذلك جاءت توجيهات آل البيت ﷺ موضحة نفاسة العمر، وضرورة استغلاله وصرفه فيما يوجب سعادة الإنسان ورخائه في حياته العاجلة والآجلة.

- قال النبي ﷺ في وصيته لأبي

ذر: «يا أبا ذر، كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك»^(٣).

- وقال أمير المؤمنين ﷺ: «إنما الدنيا ثلاثة أيام: يوم مضى بما فيه فليس بعائد، ويوم أنت فيه فحق عليك اغتنامه، ويوم لا تدري أنت من أهله، ولعلك راحل فيه. أما اليوم الماضي فحكيم مؤدب، وأما اليوم الذي أنت فيه فصديق مودع، وأما غد فإنما في يديك منه الأمل»^(٤).

- وقال ﷺ: «ما من يوم يمر على ابن آدم، إلا قال له ذلك اليوم: أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل فيّ خيراً، واعمل فيّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة، فإنك لن تراني بعد هذا أبداً»^(٥).

- وروي أنه جاء رجل إلى علي بن الحسين ﷺ يشكو إليه حاله، فقال: «مسكين ابن آدم، له في كل يوم ثلاث مصائب لا يعتبر بواحدة منهن، ولو اعتبر لهانته عليه المصائب وأمر الدنيا: فأما المصيبة الأولى: فالיום الذي ينقص من عمره. قال: وإن ناله نقصان في ماله اغتم به، والدهر يخلف عنه والعمر لا يردّه شيء».

والثانية: أنه يستوفي رزقه، فان كان حلالاً حوسب عليه، وان كان حراماً عوقب.

قال: والثالثة: أعظم من ذلك.

قيل: وما هي؟ قال: «ما من يوم يمسى إلا وقد دنا من الآخرة مرحلة، لا يدري على جنة أم على نار»^(٦).

(٣) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٢١١٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١١١.

(٥) الكافي، ج ٢، ص ٥٢٣.

(٦) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٦٠.

(٢) دعائم الاسلام، ج ١، ص ١٦٩.

(١) البحار، ١٦، ٧٠.